

الكشاف

مثل ا D حال الكفار - في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاينة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمه نسب أو وصلة صهر ؛ لأن عداوتهم لهم وكفرهم با رسول الله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله - بحال امرأة نوح وامرأة لوط ؛ لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغفر الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله " وقيل " لهما عند موتهما أو يوم القيامة : " ادخلا النار مع " سائر " الداخلين " الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء . أو مع داخلها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط . ومثل حال المؤمنين - في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله - بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا . وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمر المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله A بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر . ونحوه في التغليظ قوله تعالى " ومن كفر فإن الله غنى عن العلمين " وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثلهما تين المؤمنتين وإن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فإن ذلك الفضل لا ينفعها إلا مع كونهما مخلصتين و التعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفتن العالم ويزل عن تبصره . فإن قلت ما فائدة قوله : " من عبادنا " ؟ قلت : لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في انفسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله : قال عبيد من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنيهما عبادان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهارا وإبانه لأن عبدا من العباد لا يرجع عنده إلا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجع به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده . فإن قلت : ما كانت خيانتها ؟ قلت : نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرها على الرسولين فأمرأة نوح قالت لقومه : إنه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه . ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمح في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونهم حقا وعن ابن عباس Bهما : ما بغت امرأة نبي قط .

" وضرب ا[] مثلا للذين ءامنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة
ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظلمين ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها
فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمت ربها وكتبه وكانت من القنتين " وامرأة فرعون : آسية
بنت مزاحم . وقيل : هى عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عما موسى الإفك فعذبها
فرعون . عن أبى هريرة : أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس ؛ وأضعها
على ظهرها ووضع رضى على صدرها